تحقيق تاريخي

# عام الفيل وميلاد الرسول

[ تقدمة تحية إلى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ]

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

## عام الفيل

كان الرأى الشائع فى الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية لم تتحدث عن تعرض الأحباش للحجاز ، ولا عن سفر الفيل[1] غير أن الباحث الدقيقة التى نشرها المستشرق العلامة تيودور نولدكه عن تاريخ صلات الفرس بالروم[2] . بينت أن المؤرخ بروكوب اليونانى تحدث عن تعرض الأحباش للحجاز

(١) Caussin de Perceval فى Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islams ، باريس ١٨٤٧ ، ص ١٤٥

(٢) Theodor Noldcke فى Geschichte der Perser und Ara- berzur zeit der Sasaniden ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ٢٠٠

أشبه بالعقلية البدوية ؟ وهذه المظاهر الفخمة المتطاولة التى تزعم للناس أنها واهبة الحضارة ، ورافعة بنيانها ، ومثبتة أركانها ؟ ألا يمكن أن يكون وراءها روح بدوية غلابة متغلغلة فى العقلية الألمانية ، هى التى تنهج لهذا الشعب سبيلها ، وتفرض عليه قوانينها ، وتحدد له غاياتها ؟ وهى التى بعثته إلى هذا المسلك وإلى نظائره فى التاريخ فى القريب ، مما نحن فى مشاهده المنكرة ، وآثاره المروّعة ؟

لعل ذلك كله جائز مقبول ، وإن الدراسة اللغوية هى — فيما نعتقد — من صميم الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان Anthropologie ، ومن خير المقدمات التى تهدى إلى معرفة طبائع الشعوب وخصائص الأجناس . فإذا اطردت هذه الدراسة اللغوية مع نتائج الأبحاث الاجتماعية كان ذلك أقوى لها ، وأجدر أن يخرجها من دائرة الفروض ، ويدنو بها إلى منطقة الحقائق العلمية . فهل لنا أن نذهب ذلك المذهب فيما نحن الآن بصدده ؟

أبو هيانه

بتحريض الروم[1] ، ومن ذلك الحين اتخذت الدراسات التاريخية وجهة أخرى تبدأ فيها بدراسة الوقائع من وجهة نظر المصادر اليونانية ، وتمحص على أساسها ما ورد فى كتب المؤرخين العرب[2] ، وهذه الوجهة التى مال معها المستشرقون صحيحة الأسس ، لأن مؤرخى العرب تأخر بهم العهد نحو ثلاثة قرون من الزمان ، تدرجت فيها وقائع الجاهلية العربية على الأفواه وتنقلت على الألسنة فى فترة من الزمان ، حمل فى تضاعيفه من الأسباب القوية ما يجعله يتناول الواقعات والحوادث التاريخية بتأثيره ، فينسج من حول مادتها الأقاصيص المتقومة بروح العصر وهكذا كان أن سلمت وقائع الجاهلية العربية لعصر التدوين فى القرن الثانى للهجرة ، بعد أن غابت حقائق هذه الوقائع فى تيه من الأساطير التى حيكت من حولها والتى غطت على أمرها[3] ، ومن هنا نجد للمصادر اليونانية قيمتها التاريخية ، باعتبارها مصادر معاصرة للوقائع التى جرت ، ومن هنا يمكن اتخاذها محكا لدراسة الروايات العربية ، واستخراج العناصر التاريخية منها

يذكر لنا بروكوب أنه فى السنة الخامسة من حكم الامبراطور جوستنيان ، أعنى حوالى سنة ٥٣٠ ميلادية ، حمل الأحباش على اليمن واستولوا عليها . وهو يصوّر أسباب هذه الحملة اعتماداً على ما يقدره يوحنا المؤرخ اليونانى فيقول : ان يوسف ذا نواس ( دومينوس الحميرى : عند يوحنا ) قبض على بعض التجار من نصارى الروم وقتلهم ، واستعبد نصارى نجران ، وأخذ يقطع السبيل على تجارة اليونان ، فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الحالة الاقتصادية . وقد تضرر من هذه السياسة أقيال اليمن ، فخرجوا تحت لواء أحدهم ، وهو « أيدوج » الوثنى ، وجرت بينهم وبين ذى نواس معارك وحروب لم يثبت فيها ، وانتهى أمره بأن قتل . وانتهز الأحباش فرصة تحارب اليمنيين فشنوا الغارة على بلاد اليمن تحت قيادة « أبرهة » ـ الذى كان فى الأصل عبداً لأحد تجار الروم النازلين ثغر أدوليس ـ وفتكوا

(١) Prokop فى De Bello Persico ، بن ١٨٣٣ ، ج ١ ص ٢٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧

(٢) Leone Ceatani فى Annali dell'Islam ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١١١ و ١١٧

(٣) I. A. Edham فى Islam Tarcki ، استانبول ١٩٣٥ ، ج ١ ص ٢٩١ وكذا من مصادر التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٣٦

بأبدوج ، وأخضعوا اليمن لسلطة نجاشي الحبشة[1]

غير أن المصادر العربية تجعل من أبدوج هذا قائداً حبشياً ، وتسميه أرياط وأنه باسم النجاشي حارب ذا نواس ، وبعد أن تغلب عليه حكم اليمن ؛ إلا أن « أبرهة الأشرم » أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح فى إزاحته عن السلطة ، وتمكن من قتله وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشي[2] . ونقطة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها ، لـكنها لا تقع من غرضنا فى هذا البحث ، وإنما الذى يهمنا تقديره أن المصادر العربية تماشى المصادر اليونانية فى أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذى نواس ( دومينوس[3] ) . وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدّة ، حدث أن أرسل الامبراطور جوستنيان سفيراً يدعى جوليان ، عرض من قبـله على النجاشي فكرة عقد محالفة مع الروم ضدّ الفرس ، ويكون دور الأحباش فيها التعرض للفرس من جهة بلاد العرب المتاخمة لجنوب غربى الحدود الفارسية ، وذلك لتخفيف الضغط على الروم فى صراعهم مع الفرس على تخوم الحدود بين الامبراطوريتين[4] . وهذه السفارة حدثت فى حدود سنة ٥٤٠ ميلادية[5] ، كما يعيّن ذلك التاريخ المصادر اليونانية ، فى وقت كانت الصلات قوية ووثيقة بين النجاشي وامبراطور الروم . ومما لا شك فيه أن جوستنيان اعتمد على هذه الصلات أولاً ووحدة العقيدة الدينية التى تجمعه بنجاشي الحبشة ثانياً ، ليطلب مؤازرة النجاشي له فى الحرب التى اشتعلت بينه وبين كسرى أنو شروان سنة ٥٤٠ ميلادية[6]

ولم تكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش للروم فى صراعهم ضد الفرس ، إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق فى عالم الواقع . إذ لم يكن الأحباش أصحاب أسطول بحرى ضخم يمكنهم من غزو فارس من جهة الخليج الفارسى ، ولا كان فى إمكانهم إرسال حملة من اليمن قاعدتها فى بلاد العرب عبر صحرائها للتعرض للنخوم العربية الفارسية ، لأن طبيعة تضاريس بلاد العرب ، لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة[1] . وقد أمكن النجاشي أن يدرك هذه الحقيقة ، لإلمامه بالموقف الذى غاب عن الروم وقيصرهم ومن هنا كانت المماطلة دائماً من جانب النجاشي والاعتذار عن إمكان تقديم مساعدة فعالة للروم فى صراعهم ضد الفرس[2] . فلما اشتد الصراع وبلغ أقصاه سنة ٥٤٠ ميلادية ، وأرسل جوستنيان رسولاً خاصاً (سفيراً) هو جوليان ، اضطر النجاشي مجاملة أن يأمر عامله على اليمن ، أبرهة ، أن يرسل قسماً من قواته شمالاً على زعم التحرك للتعرض للنخوم الفارسية . والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى[3] . ومما لا ريب فيه أن الأحباش اتخذوا هذا الطريق مسلكهم نحو الشمال . غير أن القوات التى أرسلوها حين انتهت إلى الحجاز ، كان التعب قد نال منها والمرض قد أفنى معظم رجالها ، والجدرى فتك بجنودها[4] فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويعتذروا بخسائرهم إلى الروم ، ويقفوا عند هذا الحدّ . غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد هالهم تقدم الأحباش فى جيش عرمرم (بالنسبة لهم) ورأوا أنهم يبيتون لهم شرًّا ، فلما أصيبوا بالوباء ، ورجعوا ، أيقن العرب أن ذلك أثر من تداخل العناية الإلهية التى حفظتهم مما كان الأحباش يبيتونه لهم[5] . وهذا هو المصدر التاريخى الذى حيك من حوله

(١) Prokop فى المرجع السالف الذكر

(٢) حسن ابراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ١٩٣٥ ج ١ ص ٤٤ واسرائيل ولفنسون فى تاريخ اليهود فى الجاهلية وصدر الاسلام ، ص ١١٦

(٣) I. A. Edham فى المرجع المذكور سابقا ، ص ٢٩٢

(٤) Th. Noldeke فى المرجع السالف الذكر ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١

(٥) Leone Ceatani فى الكتاب المذكور ، فقرة ١٠٨ ، الحاشية رقم ١

(٦) الكاتب فى الكتاب المذكور له ، ص ٢٩٢ وكذلك ص ٢٠٠

(١) البرنس ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨

(٢) Prokop فى De Bello Persico ، ج ١ ص ٢٠ و١٠٤ و١٠٧

(٣) Charles M. Soughty فى Travels in Arabian Deserta, Cambridge 1888 ، ج ٢ ص ٣٢٩ و D. G. Hogalh فى The Near East ، لندن ١٩٠٢ ، ص ٦٩ ، ٧١ و ٧٢ و ٧٦

(٤) انظر لنا تاريخ الاسلام ص ٢٩٤ وكذا انظر كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨ وتاريخ الخميس ، بولاق ١٣٠٢ ص ١٢ ، ٢١٦ ، وعلى وجه خاص ص ٢١٦ سطر ١٩ وكذا ابن دريد فى الاشتقاق ص ١٠١ سطر ٣ وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ ص ٩١ ، ٦٢ وتفسير الكشاف طبع الهند ج ٢ ص ١٦٣٢

(٥) تاريخ الاسلام ص ٢٩٥

كل روايات العرب عن سفر الفيل[1]

* * *

تروى المصادر العربيّة أن السبب فى تعرض الأحباش لمكة يرجع إلى أن أبرهة الأشرم شيد هيكلاً فى صنعاء حاضرة اليمن[2] ، وذلك بغية صرف الناس عن الكعبة . غير أننا نعلم من المصادر المسيحية أنها لم تشر ألبتة إلى مسألة بناء هيكل جديد فى صنعاء حاضرة اليمن (العربية السعيدة Arabia Felix) على عهد أبرهة[3] . هذا فضلاً عن أن المؤرخ أوزيب فى بحثه عن « تاريخ الكنيسة » ، يتناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل فى صنعاء[4]

غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة فى نجران ، وفى بعض المناطق من اليمن ، وأنه كان باليمن قسس من النصارى على عهد حكم الأحباش لها[5] . ولا شك أن هؤلاء القسس الذين يرعون شؤون طائفتهم الروحية ، كانوا يتخذون لأنفسهم فى حاضرة اليمن هيكلاً ، يظهر أنه كان النواة التى حيكت من حولها روايات العرب . هذا ، وربما كان الأحباش وهم نصارى اعتنوا بهذا الهيكل وزينوه بما يليق بمكانتهم كنصارى حاكمين للبلاد ؛ وربما حمل هذا العمل عند بدو الصحراء وعرب الحجاز على محاولة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة . ولا شك أن هذا الوهم لم يكن ليمكن تصوره ، خصوصاً وأن الأحباش إذا فرض أنهم قاموا بمثل هذه المحاولة التى ينسبها مؤرخو العرب لهم ، فستكون هذه المحاولة وقفاً على النصارى من العرب وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة . فإذا جاز أن نحمل هذه المحاولة على الرغبة فى التبشير بالمسيحية بين العرب ، فلا شك أن مثل هذا الحادث الخطير لم يكن ليمر بدون إشارة فى كتب تاريخ الكنيسة الشرقية . ومن هنا لا نرى محلاً لقبول ما يقول رواة العرب عن سبب تعرض الأحباش للحجاز[1] .

* * *

إذا صحت استقراءاتنا ونظرتنا للموضوع ، فإن الصلة تكون مفصومة بين تعرض الأحباش للحجاز ومكة ، وبين وجود هيكل للنصارى بصنعاء . على أنه بعد ذلك مما يستوقف النظر، ما نراه من الاتفاق عند مؤرخى العرب فى تسمية الحملة الحبشية بسفر الفيل ، وذلك على اعتقاد وجود بعض الفيلة فى قوات الأحباش[2] . على أن اعتقاد وجود بعض الفيلة فى جيش الأحباش باليمن يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة ، يميل معها بعض المؤرخين الأعلام من الغربيين إلى إنكار وجود الفيلة فى قوات الأحباش[3] . ذلك لزعمهم أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة فى اليمن وتسييرها فى صحارى نجران[4] . فضلاً عن أن الفيلة الإفريقية ( التى قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا الاعتقاد ) من الصعوبة ترويضها حتى أن بعض الثقات الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك[5] وهذه الاستحالة جعلت المؤرخين يرجحون أن تكون الفيلة التى ورد ذكرها فى حروب القرطاجنيين قديماً فيلة مجلوبة من الهند[6] غير أن افتراض جلب الأحباش فيلتهم من الهند يقف فى سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة[7] ،

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١١١ وما بعده ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣ ، ٦١ . وأخبار مكة للأزرقى ص ٨٦ — ١٠٢ وأخبار الأول لابن اسحاق ص ١٩ — ٢١ وسيد أمير على فى مختصر تاريخ العرب ، لندن ١٩١٩ ص ٤١

(٢) أبو صالح الأرمنى فى كنائس وبيع مصر وبعض الأقطار المجاورة طبع لندن ١٨٩٥ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ من الترجمة الانجليزية و ص ١٣٩ المتن العربى

(٣) البرنس ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ج ١ فقرة ١٠٨ الهامش رقم ٢

(٤) المرجع السابق ذكره توا

(٥) Adolf Harnack فى Die Mission und ausbereitung des christenthums in den Easten Drei jahrhundert طبعة ليبزيغ ١٩٠٢ ، ج ١ ص ٤٧٧ سطر ٢٠

(١) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — استانبول، ١٩٣٥ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

(٢) أنظر المصادر الاسلامية والعربية فى هذا الباب

(٣) البرنس ليتون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ هامش رقم ١

(٤) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — ١٩٣٥ ص ٣٠٤ وما بعده

(٥) Edmond Perrier فى La Vie des Animaux Illustrée

(٦) Edward Charton فى Voyages anciens et Modernes باريس ١٨٦٧ ج ٢ ص ٢٩ وكذا P. Armandi فى Histoire militaire des éléphants ، باريس ١٨٤٣ ، ص ١٢

(٧) ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ وهوامشها . ومما يحسن الاشارة إليه هنا أن الأحباش استعملوا فيلة هندية فى حروبهم أنظر Henry Zule فى The book of M. Blo لندن ١٩٠٣ ج ٢ ص ٤٣٤

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا أصحاب أسطول يمخر عباب البحر الهندي ، حتى يمكنهم جلب الفيلة الهندية[1] على أن هذه الاعتراضات من الممكن ردها إذا لاحظنا أمرين غابا عن هؤلاء الباحثين : الأول أن الأحباش استعانوا بأسطول الروم لنقل جيوشهم عبر باب المندب والبحر الأحمر حين شنوا الغارة على اليمن[2] . وثانياً أنه كان للروم سفائن حربية وأخرى تجارية فى البحر الأحمر[3]. وهذا يجعل من الممكن جلب بعض الفيلة من الهند بواسطة سفائن الروم وأن يستعين الاحباش ببعض الهنود فى تسيير هذه الفيلة فى حملتهم على فارس . ولاشك أن تعاون الروم مع الأحباش أولاً ، والغرض من الحملة وهو مساعدة الروم ثانياً يجعل لتفسير تسمية حملة الأحباش بسفر الفيل وجهاً مقبولاً.

تقدم الأحباش بقواتهم شمالاً ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة حتى ألمت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح أن تكون هذه الكارثة هى تفشى الجدرى فى جيش الأحباش[4]. والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب

على أن إشارة القرآن إلى أصحاب الفيل ، تحمل فى تضاعيفها دلائل قوية على معرفة العرب لقصة سفر الفيل من جهة ، وعلى أنها حديثة العهد بهم ؛ على أن ما قدمه القرآن لنا فى سورة موجزة توسع فيه رواة العرب وخلطوه بالأقاصيص وشحنوا به كتب التاريخ والسيرة والأدب . وهنا لك بعض الشعر المزعوم قوله فى حادثة الفيل ، نجد بعضه منسوباً لابن الزبعرى والبعض الآخر لأمية بن أبي الصلت . فمن المنسوب للأول هذه الأبيات :

وتنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تُخلق الشعرى ليالى حرّمت ... إذْ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجُرْهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

أما الأبيات المنسوبة لأمية فهى :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رَزَم
محاجنهم تحت أقرابه ... وقد شرّموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه منوَلا ... إذا يمموه قفاه كُلِم
فولى وأدبر أدراجه ... وقد باء بالظلم من كان ظَلَم
فأرسل من فوقهم حاصباً ... فلفّهم مثل لف القُزُم
تحض على الصبر أحبارهم ... وقد تأجوا كتُؤاج الغنم

ويفهم منها أن الكارثة التى ألمت بأصحاب الفيل كانت مزدوجة : ريح سموم هبت عليهم ، ووباء تفشى فيهم ، وحمل الوباء عند العرب على الريح السموم[1]. على أنه مما يستوقف النظر فى هذه الأبيات ورود لفظة « الأحبار » فى البيت الأخير مع أن الأحباش لم يكونوا هوداً ، حتى يصح افتراض اصطحابهم لأحبارهم ! والذى عندى أن هذه الأبيات مفتعلة فى العصر الإسلامى .

إذا وضعنا أمام النظر كل هذه التحقيقات بان لنا أولاً : أن قصة مسير الأحباش إلى مكة بقصد هدم الكعبة دون غيره ليست جاهليّة ، وإنما تعود بأصل إلى الإسلام

ومن هنا نجد أن تعليل تعرض الأحباش للحجاز فى طريقهم إلى فارس بأن القصد منه محاولة هدم الكعبة وصرف الناس عنها ليست إلا أسطورة نشأت بعد أن قام الإسلام وذاع وانتشر بين العرب واستقر فى الشرق وارتفع شأن مكة وأصبحت الكعبة قبلة المسلمين . فعمل الرواة على أن يربطوا بين وجود هيكل النصارى فى اليمن وبين حملة الأحباش على الحجاز فى سبيلهم إلى فارس فكان لهم من ذلك قصة محبوكة . ومما لا ريب فيه أننا قد وضعنا اليد على مواضع الصنع فى هذه القصة التى ترويها الكتب العربية ، وكشفنا عن الخطوط التاريخية التى استمد منها النسيج الأول الذى حيكت بعده بقية خيوط القصة كما نجىء فى المصادر العربية. وهكذا نميز معنا الجانب التاريخى من الجانب الأسطورى فيها ،

(١) ابن جرير الطبرى طبعة دى غوبيه جـ١ ص٩٢٢ س٨
(٢) نولدكه فى Geschichte der Perser ، ص ١٨٨ هامش رقم ١
(٣) نفس المرجع
(٤) الطبرى ، ج٢ ص١١١ وما بعده وسيرة ابن هشام ، ج١ ص٤٣ — ٦١ وأخبار مكة للأزرقى ص٨٦ — ١٠٢ وابن خلدون طبعة بولاق ج٢ ص ٦١ — ٦٢ والزمخشرى في الكشاف طبع الهند ، ج ٢ ص ١٦٣٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٨١و٨٢و٨٣ طبعة مصر ١٢٨٠ وتاريخ الخميس طبع بولاق ، ج ١ ص ٢١٢ — ٢١٦ وعلى وجه خاص ٢١٦ س ١٩ وابن دريد فى الاشتقاق ص ١٠١ س ٣

(١) المرجع ذاته ، ج ١ ص ٣١٥ والبرنس كايتانى في الحوليات الاسلامية ، جـ١ فقرة ١١٧ر١١٩

واتضحت ناحية خفية من نواحى تاريخ العرب فى الجاهلية[1]

## ميلاد الرسول

ربط الكثير من مؤرخى العرب ميلاد الرسول (ص) بعام الفيل ليتخذوا من ذلك دليلاً آخر على نبوّة الرسول بأن عناية الله رَدّت كيد الأحباش عن مكة تكريماً له إذ كانت أمه آمنة فى ذلك الحين حاملة به[2]. والواقع أن نبوة الرسول تحمل فى ذاتها آيات صدقها ، فهى لا تحتاج لدليل خارجى يدعمها . وحياة الرسول تثبت أنه كان مخلصاً طيلة حياته ، وهذا وحده يردّ كل محاولة يراد بها التشكيك فى نبوته[3]

ولما كانت حملة الأحباش التى عرفت بسفر الفيل جرت سنة ٥٤٠ ميلادية [4] كما ثبت من التحقيقات التي كشفنا لك عنها من قبل ، فإن الصلة تبدو مفصومة بين عام الفيل وهى السنة التى كان فيها سفر الفيل وبين ميلاد الرسول (ص) ، فنحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد فى حدود سنة ٥٧٠ ميلادية كما حقق ذلك الباحثون[5] . فإذن هنالك نحو ثلاثين سنة تفصل بين عام الفيل وميلاد الرسول . وبعض المؤرخين العرب يثبت هذا ، فمثلاً يقول البغوى : إن سفر الفيل حدث قبل ميلاد الرسول بنحو أربعين سنة[6] ومحمد بن السائب الكلبى ينزل بهذه السنين إلى ثلاث وعشرين سنة[7] . ونلاحظ أن خلفاء أبرهة حكموا اليمن ٣١ سنة[8] وأنه فى سنة ٥٧٠ ميلادية ذهبت قوات القدس لتخليص اليمن من الأحباش[9] وهذا يجعل حكم أبرهة الذى أغار على الحجاز حوالى عام ٥٤٠م وهذا ما يؤيده عن طريق غير مباشر بعض المصادر العربية التى تقرر أن الرسول

(١) أنظر أثر ذلك فى التاريخ العربى الجاهلى ، فى تاريخ الاسلام ، ج ١ ص ٣٩٠ وما بعدها

(٢) الطبرى ، ج ١ ص ٩٦٧ — ٩٦٨

(٣) ليون كايتانى — الحوليات الاسلامية — المقدمة

(٤) نولدكه فى تاريخ القدس ، ص ٢٠٥ ، الهامش

(٥) Essai sur l'Histoire des Arabes فى Baussin de Percival ج ١ ص ٢٨٢ — ٢٨٣ و se Sacy فى 7ém de l'Academie مجلد XLVIII ص ٣٠٥

(٦) ليون كايتانى فى الحوليات ، ميلاد الرسول .

(٧) المرجع السابق الذكر توا ، ميلاد الرسول

(٨) نولدكه فى تاريخ الفرس ، ص ١٢٠ ، هامش رقم ٣

(٩) نفس المرجع .

ولد بعد خمسين سنة من استيلاء الأحباش على اليمن[1] وأنهم طردوا بعد عامين من ميلاد الرسول[2]. وهذا كله إن أثبت شيئاً فإنما يثبت أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل وأن محمداً ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة تقريباً[3]

ومن المهم أن نقول هنا إن هذه الحقيقة التاريخية برغم وضوحها ورغم ثبوت أن حملة الأحباش على الحجاز كانت فى حدود سنة ٥٤٠ ميلادية وأن ميلاد الرسول كان سنة ٥٧٠ ميلادية ، فإننا نجد معظم المشتغلين بالتاريخ الإسلامى يخطئون ، فيجعلون ميلاد الرسول مقروناً بعام الفيل . وربما كان لبعضهم العذر فى هذا الخطأ لجهلهم هذه التحقيقات المعروفة فى دوائر التاريخ فى العالم المتمدن ، ولكن ما عذر بعض الأساتذة الجامعيين الذين نجد فى مصنفاتهم جميع أصول هذه التحقيقات ، وبعد ذلك يخطئون ويقولون إن الرسول ولد فى عام الفيل[4] ومهما يكن من شىء فالتاريخ يرفض كل محاولة يراد بها ربط ميلاد الرسول بعام الفيل كما أن التحقيقات التاريخية تبين أن الصلة مفصومة بين التاريخين بنحو ثلاثين سنة . ونرجو أن يكون فى هذا البحث تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين فى العالم العربى من أن رسول الله محمد بن عبد الله ولد عام الفيل .

( الاسكندرية ) اسماعيل أحمد أدهم
دكتور فى العلوم والفلسفة من موسكو
ودكتوراه فخرية فى الآداب من لينغراد وموسكو

(١) اليعقوبى Chron ص ٤ سطر ٢٤

(٢) الأزرقى فى تاريخ مكة ، ليبزيغ ١٨٥٨ ، ص ٩٢ س ٢ وما بعده

(٣) Sprenger فى Zietschrift der Deutschen Iorgenlandischen Gesellschaft ج ١٣ ص ١٣٧ و ١٤٢

(٤) حسن ابراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى ، ج ١ ، فصل تعرض الأحباش لليمن ، وحربهم على عرب الحجاز ، وقابله بما يذكره عن مولد الرسول

أطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة الرشد ، شارع الملك فيصل بالقدس
ومن المكتبات العربية المشهورة